آيات متعلقة بالدعوة إلى الله -1-

آيات سورة النحل [النحل: 125-128].

قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾ [النحل: 125-128].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أمر الله محمدًا ﷺ باتباع إبراهيم في قوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 120-124] بيَّن الشيء الذي أمره بمتابعته فيه، وهو أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة، وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن[1] .

فهَذِهِ الْآيَةِ بمَنْزِلَةَ الْبَيَانِ لِقَوْلِهِ: أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً [سُورَة النَّحْل: 123] فَإِنَّ الْمُرَادَ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنَ اتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ مَبْنِيٌّ عَلَى قَوَاعِدِ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ. التحرير والتنوير 14/ 325

سبب نزول الآية:

سبب نزول قوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}.

لما مثّل المشركون بشهداء أحد قالت الأنصار: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: 126] فَقَالَ رَجُلٌ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ اليَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُفُّوا عَنِ القَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً».[2] .

غريب الألفاظ الواردة في الآيات:

{ادع}: الدُّعاءُ إلى الشيء: الحثّ على قصده قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ [يوسف/ 33] ، وقال: وَاللَّهُ يَدْعُوا إلى دارِ السَّلامِ [يونس/ 25] [3].

سبيل ربك: سَبِيلُ الرَّبِّ: طَرِيقُهُ. والمعنى والمعنى: إِلَى شَرِيعَةِ رَبِّكَ الَّتِي شَرَعَهَا لِخَلْقِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَإِضَافَةُ سَبِيلِ إِلَى رَبِّكَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ اللَّهَ أَرْشَدَ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِالْتِزَامِهِ.[4]..

{الحكمة}: هي معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض ولا تخطئ في العلل والأسباب. وهي اسم جامع لكلّ كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير .

{الموعظة}: هي القول الذي يليّن نفس المقول له لعمل الخير. وهي أخص من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها .

---

[1] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (15/ 422).

[2] رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة النحل ، رقم: 3129 ، وقال:" هذا حديث حسن غريب من حديث أبي بن كعب" سنن الترمذي - شاكر + ألباني (5/ 299(، وصححه الشيخ مقبل الوادعي في كتابه: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: 126) .

وورد سياق آخر للقصة ولكنه لا يصح أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرَ إِلَى حَمْزَةَ وَقَدْ قُتِلَ وَمُثِّلَ بِهِ، فَرَأَى مَنْظَرًا لَمْ يَرَ مَنْظَرًا قَطُّ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ وَلَا أَوْجَلَ، فَقَالَ: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ، فَقَدْ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ، فَعُولًا لِلْخَيْرَاتِ، وَلَوْلَا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَدَعَكَ حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَفْوَاجِ شَتَّى» . ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ: «وَاللهِ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ» . فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْ بَعْدُ: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: 126]. المعجم الكبير للطبراني 3/ 143 وهو حديث ضعيف.

[3] المفردات في غريب القرآن ص315.

[4] تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر 14/ 400التحرير والتنوير 14/ 326 التحرير والتنوير 14/ 326.

- **{المجادلة}:** الاحتجاج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه .
{المعاقبة}: الجزاء على فعل السوء بما يسوء فاعل السوء [5]
ضيق: الضَّيْقُ مَصْدَرُ ضَاقَ، وَالْمُرَادُ ضِيقُ النَّفَسِ، قال أبو عمرو: الضَّيْق، بفتح الضاد: الغَمُّ، والضِّيق، بالكسر: الشدة»؛ يُقَالُ: فُلَانٌ ضَيِّقُ الصَّدْرِ، قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ الْحِجْرِ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ [سُورَة الْحجر: 97] [6]
والمعنى: لا تكن في ضيق، أي لا يضق صدرك من مكرهم، كما قال: {وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} [هود: 12].
يمكرون: المَكْرُ: صرف الغير عمّا يقصده بحيلة، وهو نوعان: مكر محمود، وذلك أن يتحرّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ[آل عمران/ 54] . ومذموم، وهو أن يتحرّى به فعل قبيح، قال تعالى: وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر/ 43][7]
القراءات الواردة في الآيات:
{في ضيق} قرأ الجمهور: في ضَيق بفتح الضاد. وقرأ ابن كثير: بكسرها، ورويت عن نافع، ولا يصح عنه [8] .
بلاغة الآيات:
- حذف مفعول الفعل (ادْعُ) للدلالة على التعميم، أي:، ادع من هو أهل للدعوة إلى سبيل ربك.
- قولُه :ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ :في مُخاطَبةِ اللهِ رَسولَه صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم بهذا الأمرِ في حينِ أنَّه داعٍ إلى الإسلامِ، ومُوافِقٌ لأصولِ مِلَّةِ إبراهيمَ: دليلٌ على أنَّ صيغةَ الأمرِ مُستعمَلةٌ في طلَبِ الدَّوامِ على الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ، معَ ما انْضَمَّ إلى ذلك مِن الهدايةِ إلى طَرائقِ الدَّعوةِ إلى الدِّينِ؛ فتضَمَّنَت هذه الآيةُ تَثبيتَ الرَّسولِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم على الدَّعوةِ، وألَّا يُؤيِسَه قولُ المُشرِكينَ له :إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ] النحل: 101 [، وقولُهم :إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ] النحل: 103. [
- سماه سبيلاً ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة، ليفضي بهم إلى الغاية المقصودة، وهي السعادة الأبدية قي الحياة الأخرى.
وأضافه إلى نفسه، ليعلموا أنه هو وضعه، وأنه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه. وذكر من أسمائه الرب؛ ليعلموا أن الرب الذي خلقهم وصورهم، ولطف بهم في جميع أطوار خلقهم ومراحل تكوينهم: هو الذي وضع لهم هذه السبيل لطفاً منه بهم، وإحساناً إليهم، لينهجوها في مراحل حياتهم، فكما كان رحيماً بهم في خلقه، كان رحيماً بهم في شرعه، فيسيروا فيها عن رغبة ومحبة فيها ومع شكر له وشوق إليه[9].
- عطف **{الموعظة}** على "الحكمة" لأنها تغاير الحكمة بالعموم والخصوص الوجهي، فإنه قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل .
- لما كانت المجادلة لا تكون إلا مع المعارضين صرح في المجادلة بضمير جمع الغائبين المراد منه المشركون "جادلهم" .
- قَولُ اللهِ تعالى :ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ قُيِّدت الموعِظةُ بالحَسَنةِ ولم تُقيَّدِ الحِكمةُ بمِثلِ ذلك؛ لأنَّ الموعظةَ لَمَّا كان المقصودُ منها- غالبًا- ردعَ نَفسِ الموعوظِ عن أعمالِه السيِّئةِ؛ كانت مَظِنَّةً لصدور غِلظةٍ مِن الواعِظِ أرشد اللهُ رسولَه أن يتوخَّى في الموعظةِ أن تكونَ حَسنةً، أي: بإلانةِ القولِ، وترغيبِ الموعوظِ في الخيرِ؛ قال تعالى خطابًا لِموسى وهارون :اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّه طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] طه: 43-44 . [وأمَّا الحِكمةُ فهي تعليمٌ لا تكونُ إلَّا في حالةٍ حَسَنةٍ، فلا حاجةَ إلى التنبيهِ على أن تكونَ حَسَنةً [10]

---

[5] التحرير والتنوير (13/ 263-269)
[6] «التفسير البسيط» (13/ 237):«التحرير والتنوير» (14/ 337):
[7] «المفردات في غريب القرآن» (ص772)
[8] البحر المحيط في التفسير (6/613- 614)
[9] تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص318
[10] التحرير والتنوير (13/ 263-264)

- قال الله تعالى :ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، الجدَلُ لا يُدْعَى به، بل هو من بابِ دفعِ الصائِلِ، ، وقالَ في الجدالِ :بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، ولم يقُلْ: بالحسنةِ، كما قال في الموعظةِ؛ لأنَّ الجدالَ فيه مدافعةٌ ومغاضبةٌ، فيحتاجُ أنْ يكونَ بالتي هي أحسنُ حتى يُصْلِحَ ما فيه مِن الممانعةِ والمدافعةِ، والموعظةُ لا تُدافَعُ كما يُدافَعُ المُجادِلُ! فما دام الرجلُ قابلًا للحكمةِ أو الموعظةِ الحسنة أو لهما جميعًا لم يُحْتَجْ إلى مجادلةٍ، فإذا مانَعَ فإنَّه يُجادَلُ بالتي هي أحسنُ
- وقولُه :إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ : إيرادُ الضَّلالِ بصيغةِ الفِعلِ ضَلَّ الدَّالِّ على الحدوثِ؛ لأنَّه تغييرٌ لفطرةِ اللهِ الَّتي فطَرَ النَّاسَ عليها ؛ بخلافِ الاهْتِداءِ الَّذي هو عبارةٌ عن الثَّباتِ على الفِطْرةِ، والجرَيانِ على مُوجِبِ الدَّعوةِ؛ ولذلك جِيءَ به على صيغةِ الاسْمِ الدال على الثَّباتِ.
قولُه :فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، أي: بمِثْلِ ما فُعِل بكم، وقد عبَّر عنه بالعقابِ على طريقةِ إطلاقِ اسمِ المُسبَّبِ على السَّببِ، أو على نَهْجِ المشاكَلَةِ
قولُه :وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ فيه تأكيدُ كَونِ الصَّبرِ خيرًا بلامِ القسَمِ؛ زيادةً في الحثِّ عليه .
- تأكيد الخبر بضمير الفصل "هو" للاهتمام به .
- لم يقل: و"بالمهتدين" تصريحا بالعلم في جانبهم ليكون صريحا في تعلق العلم به، وهذان القصران إضافيان، أي: ربك أعلم بالضالين والمهتدين لا هؤلاء الذين يظنون أنهم مهتدون وأنكم ضالون[11] .
- خص الله سبحانه النبي ﷺ بالأمر بالصبر للإشارة إلى أن مقامه أعلى، وفي هذا إشارة إلى أن صبر النبي ﷺ عظيم لأنه لقي من أذى المشركين أشدّ الأذى [12].
-وقولُه :الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فيه تقديمُ التَّقْوى على الإحسانِ؛ لأنَّ التَّخْلِيَةَ متقدِّمةٌ على التَّحْلِيةِ

إعراب الآيات:
- قوله تعالى **{ادْعُ}:** فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، ومفعوله محذوف، تقديره: ادع الناس
- **{بِالْحِكْمَةِ}:** جار ومجرور، حال من فاعل "ادْعُ" أي: حالة كونك متلبسًا بالحكمة.
- قوله تعالى {ولئن صبرتم} **{اللام}** موطئة للقسم.

المعنى الإجمالي للآيات:
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125.(
أي: ادعُ- يا محمدُ- جميعَ الناسِ إلى دينِ ربِّك بما أوحاه الله إليك مِن الكتابِ والسنةِ، وانصحْهم بما في وحْي الله إليك مِن العبرِ الجميلةِ، وذكِّرْهم بنعمِ الله تعالى ونقمِه وثوابِه وعقابِه بما يستحسنُه السامعون فترقُّ قلوبُهم، ويلينونَ للحقِّ، فيقبلونَه، ويفعلونَ ما أمَرهم الله به، وينتهونَ عمَّا نهاهم عنه.
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ].أي: وجادِلْ المُعانِدينَ بالطَّريقةِ التي هي أحسَنُ طُرُقِ المُجادَلةِ؛ مِن الرِّفقِ واللِّينِ، وحُسنِ الخِطابِ، والعَفوِ والصَّفحِ، وغيرِ ذلك مِمَّا يكون أدعى للاستجابةِ والقَبولِ. كما قال تعالى :وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] العنكبوت: 46. [

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ}.أي: إنَّ ربَّك- يا مُحمَّدُ- هو أعلَمُ بمَن زاغَ عن طَريقِ اللهِ، فلم يتَّبِعْ دِينَه، كالذين اختَلَفوا في السَّبتِ، وسيُجازِيه على عَمَلِه.
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أي: وربُّك أعلَمُ بالمُهتَدينَ لِدِينِه، الذينَ اتَّبَعوا الحَقَّ، وسيُجازيهم على

---

[11] التحرير والتنوير (13/ 267-268)
[12] التحرير والتنوير (13/ 270)

أعمالِهم.
كما قال تعالى :إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى] النجم: 30. [
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126.(
لما أمَرَ اللهُ تعالى مُحمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يدعُوَ الخَلْقَ إلى الدِّينِ الحَقِّ فلا بد أن يلقى أذى ولا بُدَّ له من الرد والدفاع عن نفسه، فعند هذا أمَرَ برِعايةِ العَدلِ والإنصافِ وتَركِ الزِّيادةِ.
وفي سَبَب النُّزولِ: عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ الله عنه، قال)) :لَمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ، أُصيبَ منَ الأنصارِ أربعةٌ وسِتُّونَ رجُلًا، ومنَ المُهاجرينَ ستَّةٌ فيهم حَمزةُ، فمَثَّلوا بهم، فقالتِ الأنصارُ: لَئِنْ أصَبْنا منْهم يومًا مثلَ هذا لَنُرْبِيَنَّ عليهم، قالَ: فلمَّا كانَ يومُ فتحِ مَكَّةَ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى :وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ فقالَ رجلٌ: لا قُرَيشَ بعدَ اليومِ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم: كُفُّوا عنِ القَومِ إلَّا أربَعةً. ((
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ.أي: وإنْ عاقَبْتُم- أيُّها المُؤمِنونَ- مَن اعتَدى عليكم بقَولٍ أو بفِعلٍ؛ فعاقِبوه بمِثلِ ما ظلَمَكم به، مِن غَيرِ زِيادةٍ.
كما قال تعالى :فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ] البقرة: 194. [
وقال سُبحانَه :وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا] الشورى: 40. [
وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ.لَمَّا أباح لهم دَرَجةَ العَدل؛ رقَّاهم إلى رُتبةِ الإحسانِ، بقَولِه تعالى:
وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ.أي: ولَئِنْ صَبَرْتُم- أيُّها المُؤمِنونَ- عن عُقوبةِ مَن اعتدى عليكم، فعَفَوتُم عنهم؛ فذلك الصَّبرُ خَيرٌ عندَ اللهِ للصَّابِرينَ مِن الانتِقامِ والانتِصارِ.
كما قال تعالى :وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] الشورى: 40-43. [
وقال سُبحانَه :إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ] الزمر: 10. [
وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال)) :وما زاد اللهُ عَبدًا بعَفوٍ إلَّا عِزًّا. ((
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127.(
لما خُيِّر المخاطبون في المعاقبةِ والصبرِ عنها؛ عزَم على الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الذي هو خيرٌ، وهو الصبرُ.
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ.أي: واصبِرْ- يا مُحَمَّدُ- على دعوةِ قَومِك إلى اللهِ، وتحَمَّلْ ما يُصيبُك مِن أذاهم، وما يَحصُلُ صَبْرُك إلَّا بإعانةِ اللهِ وتَوفيقِه لك إلى ذلك.
كما قال تعالى :وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] يونس: 109. [
وقال سُبحانَه :وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا] المزمل: 10. [
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ. لَمَّا كان- بعدَ تَوطينِ النَّفسِ على الصَّبرِ، وتَفريغِ القَلبِ مِن الإحْنةِ - يَرجِعُ إلى الأسفِ على إهلاكِهم أنفُسَهم بتَماديهم على العُتُوِّ على اللهِ تعالى، قال سُبحانَه:
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ.أي: ولا تَحزَنْ على قَومِك إذا لم يُؤمِنوا بما جِئتَهم به، وأعْرَضوا عن دَعْوتِك. كما قال تعالى :فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا] الكهف: 6. [وقال سُبحانَه :فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ] فاطر: 8. [
وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ.أي: ولا يَضِقْ صَدْرُك فتَغْتَمَّ بسَبَبِ مَكرِ قَومِك بك، وتَكذيبِهم وعَداوتِهم لك، واحْتيالِهم بالخُدَعِ للصَّدِّ عما جِئْتَهم به من الحَقِّ؛ فإنَّ اللهَ ناصِرُك عليهم، ومُظهِرٌ دِينَه.
كما قال تعالى :وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ] النمل: 70. [
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128.(
أي: إنَّ اللهَ بنَصْرِه وتأييدِه ومَعونَتِه مع الذين اتَّقَوه، فاجتَنَبوا نواهِيَه.

وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.أي: ومع المُحسِنينَ في عبادةِ اللهِ، المُحسِنينَ إلى عِبادِ اللهِ، يُعينُهم ويُؤَيِّدُهم ويَنصُرُهم.
كما قال تعالى :إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] الأعراف: 56. [
وعن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ الله عنه في حديثِ جِبريلَ عليه السَّلامُ، قال)) :فأخبِرْني عن الإحسانِ، قال: أن تَعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإنْ لم تكُنْ تراه، فإنَّه يراك. ((
وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، قال: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :مَن نفَّسَ عن مُؤمِنٍ كُرْبةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ اللهُ عنه كُرْبةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامةِ، ومَن يسَّرَ على مُعسِرٍ يسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرةِ، ومَن ستَرَ مُسلِمًا ستَرَه اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ، واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه. ((

.

ثامنا: الأحكام والفوائد المستنبطة من الآيات:

1- وجوب الدعوة إلى الله تعالى وهو واجب كفائيّ، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم .
2- إهتداء: أمر الله نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أن يدعو إلى سبيل ربه، وهو الأمين المعصوم فما ترك شيئاً من سبيل ربه إلاّ دعا إليه، فعرفنا بهذا أن ما لم يدع إليه محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فليس من سبيل الرب جل جلاله؛ فاهتدينا بهذا- وأمثاله كثير- إلى الفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ودعاة الله ودعاة الشيطان. فمن دعا إلى ما دعا إليه النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فهو من دعاة الله، يدعو إلى الحق والهدى. ومن دعا إلى ما لم يدع إليه محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فهو من دعاة الشيطان يدعو إلى الباطل والضلال
إقتداء:
فالمسلم المتبع للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لا يألو جهداً في الدعوة إلى كل ما عرف من سبيل ربه، وبقيام كل واحد من المسلمين بهذه الدعوة بما استطاع، تتضح السبيل للسالكين، ويعم العلم بها عند المسلمين، وتخلو سبل الباطل على دعاتها من الشياطين.
أركان الدعوة:
1 - الداعي، وهو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. // 2 - والمدعو، وهم جميع الناس.
3 - والمدعو إليه، وهو سبيل الرب جل جلاله. والدعوة إلى سبيله الموصل إليه دعوة إليه، فالمدعو إليه في الحقيقة هو الله تعالى. // 4 - والبيان عن الدعوة.
وتجيء الآيات القرآنية منها ما هو حديث وبيان عن الداعي، ومنها ما هو حديث وبيان عن المدعو إليه، ومنها ما هو حديث وبيان عن بيان الدعوة .... جاءت في بيان كيفية الدعوة، وبماذا تؤدى؟ وكيف يدافع عنها؟ مع ذكر الداعي والمدعو إليه؛ فقال تعالى: {بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.
(الحكمة) العقائد الحقة والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخاً تظهر آثاره على الأقوال والأعمال- حكمة.// والأعمال المستقيمة، والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد- حكمة.// والأخلاق الكريمة كالحلم والأناة- وهي علم وعمل نفسي- حكمة.// والبيان عن هذا كله بالكلام الواضح الجامع- حكمة؛ تسمية للدال باسم المدلول[13]. //
فالحكمة التي أمر الله نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أن يدعو الناس إلى سبيل ربه بها، هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها، والحقائق ببراهينها، والأخلاق الكريمة بمحاسنها، ومقابح أضدادها، والأعمال الصالحة: من أعمال القلب واللسان والجوارح بمنافعها ومضارّ خلافها.
- هدتنا الآية الكريمة إلى أسلوب الدعوة: وهو الحكمة، وتجلت هذه الحكمة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. فعلينا أن نلزمها جهدنا حيثما دعونا، ونقتدي باساليب القرآن والسنة في دعوتنا، فيما يحصل الفهم واليقين، والفقه في الدين والرغبة في العمل والدوام عليه[14].

---

[13] تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص320
[14] تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص321

-- على من يدعو الناس إلى دين الله اتباع أحد هذه الطرق الثلاث: وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن .
-- على الداعية أيضا أن يكون شجاعا في الحق، فلا يهن، صارما في الصدق، فلا يضعف، مخلصا متفانيا في مبدئه، فلا يبيعه بزخارف الدنيا وزينتها، ولا يتطلع إلى ما في أيدي الناس. وأن يصبر في دعوته .
-من الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب .
- لا يتعلق حصول الهداية بالداعية، فهو تعالى أعلم بالضالين، وأعلم بالمهتدين .
- القرآن مشتمل على هذه الطرق الثلاثة من أساليب الدعوة، وأن الرسول ﷺ إذا دعا الناس بغير القرآن من خطبه ومواعظه وإرشاده يسلك معهم هذه الطرق الثلاثة، وذلك كلّه بحسب ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة .
- من الإعجاز العلمي في القرآن أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق، وهي البرهان والخطابة والجدل المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات وهي المقبولة من الصناعات. وأما السفسطة والشعر فيربأ عنهما الحكماء الصادقون بله الأنبياء والمرسلين .
-- العقاب يكون بالمثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن استيفاء الزيادة من الظالم .
-- اختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في أخذ مال، ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه، فقالت فرقة: له ذلك، محتجين بهذه الآية وعموم لفظها: (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) .وقال مالك وجماعة معه: لا يجوز له ذلك لقول رسول الله ﷺ ﴿أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك﴾ [15] .
-- دلت آية: (بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) على جواز التماثل في القصاص، فمن قتل بحديدة قتل بها، ومن قتل بحجر قتل به، ولا يتعدى قدر الواجب .
-- (وإن عاقبتم) في هذه الآية إيماء إلى أن الله يظهر المسلمين على المشركين ويجعلهم في قبضتهم، فلعلّ بعض الذين فتنهم المشركون يبعثه الحنق على الإفراط في العقاب .
-- التحلي بالصبر فضيلة أمر الله بها، قال ابن زيد عن آية: (وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ): هي منسوخة بآية القتال. ولكن جمهور الناس على أنها محكمة، أي: اصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عوقبوا به من المثلة.
-- إن الله نصير المتقين ومؤيدهم ومعينهم .
-- معية الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان الذين تركوا الفواحش والمعاصي ، وهو أيضا نصير المحسنين الذين فعلوا الطاعات [16] .
الجِدالُ قد يكونُ واجِبًا أو مُستحَبًّا، كما قال تعالى :وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وقد يكونُ الجِدالُ مُحَرَّمًا في الحجِّ وغيره، كالجِدالِ بغيرِ عِلمٍ، وكالجِدالِ في الحقِّ بعدَ ما تبيَّنَ ، وقد دلَّت الآيةُ على أنَّ المناظرةَ والمجادلةَ في العلمِ جائزةٌ، إذا قُصِد بها إظهارُ الحقِّ.
-قَولُه تعالى :ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ حُجَّةٌ في تَركِ الغِلظةِ عند الأمرِ بالمَعروفِ والنَّهيِ عن المُنكَرِ، واستِعمالِ اللِّينِ واللُّطفِ فيهما؛ لأنَّه أجدَرُ أن يَلينَ له قَلبُ المأمورِ، وأحرى أن تَصِلَ المَوعِظةُ إليه
قَولُ اللهِ تعالى :وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فيه الحثُّ على الإنصافِ في المُناظَرةِ، واتِّباعِ الحَقِّ
- قال الله تعالى :وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يُفهَمُ مِن هذه الآيةِ أنَّ مَن لا يَستَطيعُ المُجادَلةَ بالتي هي أحسَنُ؛ فلا يُجادِلْ

---

[15] رواه أبو داود في سننه، كتاب: الإجارة، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، برقم: 3536 .
[16] التفسير المنير للزحيلي (14/ 273) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (3/ 171(تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 452) التحرير والتنوير (13/ 270)

- قَولُ اللهِ تعالى :وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، هذا تَصريحٌ بأنَّ الأَولَى تَرْكُ ذلك الانتقامِ ، .
- قال الله تعالى :وَاصْبِرْ لَمَّا كان الصَّبرُ في هذا المقامِ شاقًّا شديدًا؛ ذكَرَ بَعدَه ما يُفيدُ سُهولتَه، فقال :وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، أي: بتَوفيقِه ومَعونتِه، وهذا هو السَّبَبُ الكُلِّيُّ الأصليُّ المُفيدُ في حُصولِ الصَّبرِ، وفي حُصولِ جميعِ أنواعِ الطَّاعاتِ.
- لدَّاعيةُ إلى اللهِ لا يَضُرُّه أَلَّا يَقبَلَ النَّاسُ منه؛ لأنَّه أدَّى الواجِبَ، وينبغي أن يُفَرّحَ نفسَه بأنَّه أدَّى الواجِبَ، وألَّا يَحزَنَ بعَدَمِ قَبولِهم دعوتَه؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال للرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم :وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
- قولُ اللهِ تعالى :إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا إشارةٌ إلى التَّعظيمِ لأمرِ اللهِ تعالى، وقَولُه :وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ إشارةٌ إلى الشَّفَقةِ على خَلقِ اللهِ، وذلك يدُلُّ على أنَّ كَمالَ السَّعادةِ للإنسانِ في هَذينِ الأمرينِ: التَّعظيمِ لأمرِ اللهِ تعالى، والشَّفَقةِ على خَلقِ اللهِ
- بماذا تكون الموعظة: يكون الوعظ بذكر أيام الله في الأمم الخالية، وباليوم الآخر، وما يتقدمه، وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم، ومصيرهم إلى الجنة أو النار، وما في الجنة من نعيم، وما في النار عن عذاب أليم، وبوعد الله ووعيده، وهذه أكثر ما يكون بها الوعظ؛ ويكون بغيرها كتذكير الإنسان بأحوال نفسه، ليعامل غيره بما يحب أن يعامل به[17].
- الموعظة التي تحصل المقصود منها: هي التي حسن لفظها؛ بوضوح دلالته على معناها، وحسن معناها بعظيم وقعه في النفوس، فأثارت الرغبة والرهبة، وبعثت الرجاء والخوف، بلا تقنيط من رحمة الله، ولا تأمين من مكره[18].
- من أعظم مواضع الوعظ خطب الجمعة والأعياد؛ وكذا قاعات التدريس في المدارس والجامعات؛ بل وكل وسيلة متاحة كوسائل التواصل وغيرها بشرط أن يكون من يرتقيها محسنا فيها بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

17 تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص322
18 تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص323